

سورة الشورى (الآيات: 28-32)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف أسباب الابتلاء بالمصائب والحن.
- 2- أن أدرك ما أفاضه الله على عباده من خيرات البر والبحر.
- 3- أن أشكر الله على نعمه وآلائه ابتغاء المزيد.

تمهيد

بعد أن تضمنت الآيات السابقة القنوط الذي يصيب العباد عند انقطاع الغيث، بين الله سبحانه في هذه الآيات أسباب ما يصيب العباد من هذه الابتلاءات، ثم بين عز وجل مجموعة من مظاهر قدرته، محذرا من يجادل في آيات الله من عقابه سبحانه. فما هي أسباب المصائب التي يبتلى بها العباد؟ وما هي مظاهر قدرة الله سبحانه وعظمته المتضمنة في الآية؟

الآيات

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مَرُضٌ صِيبٌ يَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَرَكٌ كَثِيرٌ ۚ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْآرِضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۚ ﴿٢٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۚ إِنَّ يَتَشَأُ يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَالِي خُمْرٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ ﴿٣٠﴾ أَوْ يُوقِفْهُنَّ يَمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَرَكٌ كَثِيرٌ ۚ ﴿٣١﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّنْ مُّجِيبٍ ۚ ﴿٣٢﴾﴾

[سورة الشورى: 28-32]

● الفهم

الشرح:

الْجَوَارِ: السفن .

رَوَاكِدَ: ساكنة لا تتحرك .

تَجِيحِي: مهرب وملجأ .

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما أسباب وقوع المصائب بالعباد؟

2- بماذا استدلل الله سبحانه في هذه الآيات على قدرته وعظمته؟

● التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: الذنوب سبب المصائب

وضح الله سبحانه في هذه الآيات سبب وقوع المصائب بالعباد، فقال عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مَّرْصِيَّةٌ يَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «لَا يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَذَشُ عُودٍ، وَلَا عَثْرَةُ قَدَمٍ، وَلَا اخْتِلَاجُ عِرْقٍ، إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ» [شعب الإيمان للبيهقي، باب في الصبر على المصائب، فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض من المصيبات]. وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» [صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض]. وقرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذي، وقرأ الباقر بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطاً.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَعْفُوا عَثَرَاتِ كَثِيرٍ﴾ أي: ويعفو عن كثير «من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة. وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه. وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان، وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه؛ لأن جناية المعصية من وجه، وجناية الطاعة من وجوه، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب، ليخفف عنه أثقاله في القيامة، ولولا عفوهِ ورحمته لهلك في أول خطوة» [تفسير النسفي: 3/256]. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: «لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء» [التسهيل: 2/124].

ثانياً: تسيير السفن الضخمة من آيات الله العظيمة

بين الله سبحانه في هذه الآيات أن السفن الضخمة التي تسيير في البحر بإذن الله، دليل على قدرة الله العظيمة، فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ وَالْعَالَمِ﴾ قوله: ﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السفينة ﴿الْعَالَمِ﴾ جمع علم، وهو الجبل ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْ رَوَاكِدَ عَالٍ مَحْفُورَةٍ﴾ الضمير في ﴿فَيَظْلِلْ﴾ للجواري وفي ﴿مَحْفُورَةٍ﴾ للبحر، أي: لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر، فالمقصود تعديد النعمة في إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه ﴿أَوْ يُوقِفْهَا بِمَا كَسَبُوا﴾ عطف على يسكن الرياح، ومعنى يوقفهن: يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة. والضمير فيه للسفن، وفي ﴿كَسَبُوا﴾ لركابها من الناس، والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس. ﴿وَيَعْلَمُ الْغَيْبُ لَوْ فِي أَيْلَتِنَا مَا الْقَمْرُ مَرْمَعِي﴾ أي: يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله. وقرأ نافع وابن عامر يعلم بالرفع على الاستئناف، وقرأ الباقر بالنصب، واختلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء، لأنه غير واجب. وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه.

والثاني: قول الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم، قال: ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف في القرآن كثير، ومنه قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: 20].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب الابتعاد عن الذنوب والمعاصي للنجاة من مصائب الدنيا والآخرة.
- من فضل الله سبحانه ولطفه بعباده عفوّه عن كثير من ذنوبهم، وعدم مؤاخذتهم بها.
- وجوب شكر الله على ما سخره لعباده من خيرات البر والبحر.
- تأكيد قدرة الله سبحانه وأنه لا مفر من عدله وقهره.

● التقويم

- 1- أستنتج أسباب وقوع المصائب بالعباد.
- 2- أذكر بعض مظاهر سعة رحمة الله تعالى وعفوّه.
- 3- ما الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وعظمته؟